



على الخلاف

حزب الله يتصدّى لخرق العدوّ الجوّي: تبيد الرهان على القيد الداخلي



(أفغ)

عَلِي حيدر
شكّل تصدّي حزب الله الصاروخي لخرق العدو الجوي فوق جنوب لبنان، أمس، ترجمة لما تعهد به الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، بعد اعتداء الضاحية في 25 آب الماضي. وهو ما كانت قيادة العدو - ومعها حلفاء المقاومة وخصومها - تنتظر استشراف أفاق ما إذا كان حزب الله قد قرر السير في هذا المسار الدفاعي عملياً، أو سيكتفي بما تم إسقاطه حتى الآن على الحدود مع فلسطين المحتلة. أسلوب التصدي الذي نفذّه حزب الله، في هذا المسار الدفاعي العمليّة، هو استخدام صاروخ أرض-جو، كان الهدف والأسلوب، لهُ يُعد استنفّاحاً من النوع الذي يتطلب استخدام هذا النوع من الأسلحة. ما تقدّم يتلاءم مع ما أقر به جيش العدو، كما نقلت القناة 13 في التلفزيون الإسرائيلي، بأن الطائرة المستهدفة هي من نوع «زيك» (هرمس 450)، وبحسب القناة نفسها، تُستخدم هذه الطائرة لجمع المعلومات الاستخباريّة، وقادرة على حمل صواريخ لنشّن هجمات التصدي لخروقاته الجويّة. وإذا

كان جيش العدو قد اتخذ إجراءات عمليّة احتياطية لحماية طائرته منذ أن أطلق الأمين العام لحزب الله وعده، فإنه بات الآن أكثر إدراكاً لحقيقة أنه أمام واقع عمليّاتي في سماء لبنان لم يسبق أن شهده منذ عشرات السنوات. على ما تقدّم، من السهولة التقدير أن العدو بات على يقين بأنه سيكون لهذه العملية خصومها - وأن ما جرى ليس إلا محطة في سياق متواصل في مواجهة الخروقات المتواصلة. من هنا، وبالرغم من سقوط طائرات استطلاع إسرائيلية سابقة، إلا أن التصدي الذي نفذّه حزب الله، وبحفاظ الزمان والمكان وطبيعة الهدف والأسلوب، لهُ يُعد استنفّاحاً من الناحية العمليّة - في مواجهة الخروقات الجويّة.

ينطوي تصدّي حزب الله الصاروخي للتجنّس الجوي للعدو، (ويُثبت أنه يمكن أن يتحول في أي لحظة إلى اعتداء جوي كما حصل في الضاحية، وانطلاقاً من مزايا الطائرة المستهدفة) على أكثر من بُعد إضافي يتصل أيضاً بالسياق والتوقيت. أتت العملية الصاروخية (أرض – جو) بعد

الته في تفعيل هذه القدرات. لكن هذه العملية شكّلت ضربة قاسية للرهانات المتصلة بالخرق الداخلي اللبناني الحالي. بعبارة أخرى، إذا ما كانت قيادة العدو تراقب لاستكشاف مدى تعقيد تعقيدات المشهد السياسي والأمني الاله على مغامرات بالاستناد إلى تقديرات، «ساعده» حزب الله على اكتشاف خطتها - ولو من ناحية النتائج المترتبة - قبل أن يصلطم بالواقع ويخسبب بما قد يورط نفسه ولبنان في مواجهة يسعي الأطراف كافة، ابتداءً، إلى تجنّبها. وبلغت أكثر مباشرة، بات العدو أكثر إدراكاً بعد هذه العملية بأن حزب الله، وبالرغم من المستجد الداخلي الذي يزداد تعقيداً وخطورة بكل المعايير، متوثّب وجاهز للرد على أي اعتداء قد يبادر إليه العدو، وفي مواجهة أي تهديد يحدق بالمقاومة، وهو ما سيحضّر بالضرورة على طاوللة القرار السياسي والأمني لدى دراسة خياراته بالاستناد إلى الظروف السياسيّة الداخليّة في لبنان.

من المؤكّد، وبالإستناد إلى المحطات التي مرت بها مواجهة حزب الله ضد الاحتلال والعدوان الإسرائيلي، أن قيادة العدو أدركت لدى سماعها خبر التصدي الصاروخي للخرق الجوي الإسرائيلي، بأن حزب الله، لدى تنفيذ ما توعد به أمينة العام قبل نحو شهرين، منصّت على الهدف - يساهم في تعزيز استقرار لبنان، كونها تحدّ من احتمال إقدام

لانتي اشاطرك الولادة والنشأة في حي النبعة، أحد بؤر حزام البؤس حول بيروت قبل الحرب الأهلية وبعدها، ولأنني رغم الاختلاف الأيديولوجي بيننا اشاطرك الانتماء، إلى فكر المقاومة ضد الظلم والقهر والفقر والاحتلال، ولأنني أرى فيك قائداً لم تنجب أمتنا العربية - وليس شعبنا اللبناني فحسب - مثيلاً له منذ عقود طويلة.أتوجه إليك بكل محبة وتقدير وصراحة ووضوح، أوّ بدايةً يا سيد، أن أقول إن التسوية التي اصطلح على تسميتها بـ«الرئاسة» كانت مجحفة كثيراً للمقاومة، لأنها، بحسب ما ظهر منها، أعطت الرئاسة الأولى لحليف المقاومة العماد ميشال عون والرئاسة الثانية للشيع سعد الحريري، ولكن ما خفي منها هو انتزاع غض نظر المقاومة عن السياسة الماليّة والاقتصادية، أي عن منظومة الفساد الحاكمة في البلاد، مقابل أن تخض هذه المنظومة النظر عن سلاح المقاومة وتغطي لوجوده غطاءً رسمياً. الإجحاف الأول هنا، هو اعتبار أن سلاح المقاومة لفة أو لحزب أو لطائفة وليس قوة للوطن بكل فئاته وأحزابه وطوائفه. والإجحاف الثاني هو تحويل المقاومة إلى حارس لهيكل الفساد بكل مكوّناته، إن لم يكن طوعاً بفقوة الأمر الواقع، إذ إن المقاومة، بحكم طبيعتها وتركيبتها الطائفية والمذهبية، إن توافرت لديها نية محاربة الفساد (وأنا أجزم بأن لديكم حسن النية)، لا تستطيع أن تبدأ إلا من بينتها المنهية والباطنية، وإلا تصبح محاربتها للفساد مجرد كيدية طائفية ومذهبية. وهذا ما أثبتته تجربة النائب حسن فضل الله. فكيف للمقاومة أن تنادي بمحاربة الفساد في طوائف أخرى، بينما في بينتها من يمثل العمود الفقري لمنظومة الفساد المستشري في البلاد منذ 27 عاماً؟

بنأى على هذه التسوية «الرئاسية» المجحفة للمقاومة، استدرجتم يا سماحة السيد إلى القبول بما لا تطيقون من تركيبة حكومية ضُغت في ما ضُغت، جماعة السفارات المناهضة للمقاومة جهاراً نهاراً، وسياسة مالية واقتصادية قادت البلاد إلى أكثر من نصف الطريق نحو هاوية الفقر والرجوع والعوز والبطالة والإفلاس، إلى أن بلغ السيل الزبى باستخفاف هذه التركيبة بالشعب، استناداً إلى اعتبارها أنها تمثل تعقيداً لم ترتب رؤيته ولا أولوياته.

عمر نشابة

من فئة أخرى، ولا يخفي عن أحد أن معظم القضية محسوسون على أطراف فتوية طائفية مذهبية. وليس صحيحاً ما قيل عن تشكيلات قضائية بعيدة عن المحاصصات الطائفية والمذهبية، إنما الأعداء، بغير ذلك تضليل ومحاربة فاشلة لإخفاء المسبب الأساسي لغياب المساواة والمحاسبة والملاحقة. ان النظام المبني على فرز ومحاصصة الرؤساء والوزراء والقضاة والسُباط والمدراء والموظفين بحسب انتماءاتهم الطائفية والمذهبية يجعلهم أوفياء لمصالح وزعماء هذه الطوائف والمذاهب لا لوطنهم الجامع. والحال حال كل من هم في السلطة اليوم من دون استثناء. هؤلاء، مستعدون أن يتجاوزوا كل القوانين والمعايير الوظيفية والمهنية وحتى الأخلاقية وبعلى رأسها مطلب رحيل النظام الطائفي الحاكم بسبب فضله في خدمة الناس، وبسبب الفساد المستشري في كل قطاعات الدولة تقريباً.

ان مطلب إسقاط النظام الطائفي وكل عهد أو حكومة أو تسوية أو ترتيب مبني عليه هو مطلب مركزي محق لمعظم المتظاهرين والمتظاهرات في مختلف المناطق اللبنانية، خصوصاً للشباب منهم. ولا يجوز التراجع عن هذا المطلب مهما كلف الأمر، لأن الطائفية هي أساس خراب البلد وانهار الدولة واقتتال الحروب الداخليّة اضعاف مقومات المجتمع للتصدي للعدو الإسرائيلي وبناء بلد يحلو العيش فيه بكرامة.

ان المحاصصة الطائفية المنتشرة كالتماعون في جميع القطاعات وفي هيكلية نظام الحكم ما هي الا ذريعة لحماية الفاسدين وناهبي المال العام. ولا يمكن لقاضٍ يشغل مركزه بفضل وفاته لفئة ما أن يحاكم موظفاً

الحك يكمن في إسقاط النظام الطائفي

ان خلاص البلد يكمن في إسقاط النظام الطائفي، بينما يكمن خرابه في تثبيت الطائفية من خلال التلاعب بالشارع ورفع بعض المتظاهرين شعارات فتوية. ومن هنا أهمية توضيح شعار «كلن يعني كلن». «كلن» وفاشلة وتطلّى خلف نظام المحاصصات الطائفية والمذهبية في جميع القطاعات. وليس صحيحاً ان هناك، في السلطة، أحزاباً سياسية تطرح برامج ومشاريع لمصلحة جميع المواطنين والوطنات، بل هناك مع الأسف تشكيلات طائفية ومذهبية تسعى إلى رعاية السنة والشيعية والموارنة والروز والأرثوذكس وغيرهم من الطوائف والمذاهب.

وقد تتأخر تسمية رئيس وزراء وأعضاء مجلس الوزراء، لا لأن رئيس الجمهورية سيحتار من سيختار من بين الكفاءه والمؤهلين لتولي هذا المركز، بل لأنه سيحتار من أكثر تمثيلاً بين النتمين إلى المذهب السنّي، وكذلك كان الحال خلال تسمية المرشحين لرئاسة الجمهورية بالنسبة للأكثر تمثيلاً للمسيحيين (ودخل البلد يومها في فراغ طويل) ولجلس النواب بالنسبة لتمثيل «الشيعي»، وكان لكل طائفة ومذهب رئيساً، وليس رئيس لجميع اللبنانيين.

قد تتمكن القوى الحاكمة من قمع التظاهرات وترهيب الناس في الشارع. وقد تشكل حكومة ويجري لتميع صورتها بإطلاق العود والحلول الشكلية. لكن كل ذلك سيقتى عملية تجميل فاشلة لنظام فاسد وفاشل بسبب قيامه على أساس الطائفية والمذهبية. فليرحل ولنبنّي الدولة المدنية العادلة التي تخدم جميع المواطنين، ولا تسال عن انتماءتهم الفئوية.

رسالة الى السيد حسن نصر الله

بينهم من كان مقاوماً إلى جانبكم أو أسيراً أو جريحاً، واستمتع ذلك بغزوة قام بها مجهولون بعشرات الدراجات النارية إلى منطقة الاعتصام الأساسي وهم يرغبون اعلام حزبّ الله وحركة أمل، ووصل الأمر إلى غزوة أخرى استهدفت معتمضي ساحة رياض الصلح وهم يهتفون باسمكم.

إطلائكم الأخيرة، يا سيد، وضعت غصّة في قلوب أنصار المقاومة ومحبيها وحاضنيها ممن لا يريدون لها أن تكون حارس هيكل الفساد في مواجهة بينتها الحاضرة، وهي بيئة الفقراء وذوي الدخل المحدود من أقاصي البقاع الشمالي إلى اقاصي الجنوب، مروراً بالضاحية التي بات بعض أحيائها مرتعاً للبؤس والعوز، وممن لا يرون في هذا الحراك الشعبي العظيم صناعة سفارات تتآمر على المقاومة. وهؤلاء، يا سيد، يرومون اعتذاراً عمّا ارتكبك بعض السؤولين من الخطأ، فادحة بحق المقاومة وبينتها، ويحق المعتصمين، وأن تحاسب بقسوة من سؤلّت له نفسه أن يضع المقاومة في مواجهة شعبيها، بحسن نية أو بسوء إداره، وأن يعمل على تخريب المعادلة الذهبية، «الشعب والجيش والمقاومة»، بالبلطجة الموصوفة التي مورست في ساحات الاعتصام، والتي لا تليق بأبناء المقاومة وليست من ثقافتهم وتربيتهم.

لأنني، يا سماحة السيد، اعتبر أن المقاومة نتيجة وليست سبباً، فإنتي أيضاً اعتبر أن الحراك الشعبي نتيجة وليس سبباً. وكما أن المقاومة هي نتيجة طبيعية للاحتلال، فإن الحراك الشعبي - وإن تأخر - هو نتيجة طبيعية للظلم والقهر والفساد والسرقة. من هنا، أناشدكم أن تعيدوا المقاومة التي حاضنتها الشعبية وإلى موقعها الطبيعي إلى جانب ألم الناس وجوعهم وصرختهم. وإن كانت موارزين القوى والأعباء السياسية تحول بينكم وبين ذلك علناً، ونحن نقدر ذلك ونفهمه، فعلى الأقل لا تكونوا في الجبهة المواجهة للناس، لأن أي طائفة أو مذهب، والمدافعين عن حقوق الناس هم بغالبتهم حماة لظهر المقاومة وبينتها الحاضرة. بكل محبة

صاهر ايچ نادر